بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن العقيدة الإسلامية هي مرتكز الإسلام والايمان كله، التي تعتمد عليها أركان الإسلام ، وهي الأساس التي يبنى عليه صحة الأعمال وقبولها، وهي التي تحصل بها النجاة من عذاب الله ، والسعادة في الدنيا والآخرة

ولما كانت هذه العقيدة بهذه المكانة كان الدفاع عنها وتثبيت اسسها وتركيز مقرراتها في النفس البشرية امرا بالغ الأهمية، وكان توظيف العلم التجريبي المعاصر يحقق هذه الغاية في النفوس وبخاصة في أزماننا المعاصرة لذا ارتأيت تناول هذا الموضوع وبحثه بصورة تجريدية وبصورة علمية تنحو نحو تحقيق الهدف الأسمى لكل مسلم وهو تأكيد العقيدة الدينية ودعمها بوسائل العلم المعاصر الذي ترك سلطانه على نفوس بني البشر اليوم.

العدد ٥٨

٢٧شوال ١٤٤٠هـ

٣٠ حزيران ٢٠١٩م

العدد
٥٨

المبحث الأول
الاطار المفاهيمي

لا يخفى المراد من مفردة التوظيف التي صُدِّر به عنوان بحثنا هذا إلا أن ما يشغل البال هو توضيح المراد من العلم؛ لذا جاء هذا البحث ليشرح بعض المفردات وعلى النحو الاتي:

المطلب الأول:تعريف العلم لغة واصطلاحا

أولا العلم لغة : يقال عِلِم الشيء بكسر اللام يعلمه (علماً) : عرفه ، ورجل عَلامة أي عالم جداً ، والهاء للمبالغة واستعلمه الخبر فأعلمه إياه[١] ،وقد عُرّف في المعجم الوجيز: فيقال عَلِم فلان الشيء علماً : عرفه ، وفي القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾، والعلم إدراك الشيء بحقيقته ، والعلّام: الكثير العلم ويقال فلان عَلامة لتأكيد الدلاله على سعة علمه. [٢]

تعريف العلم اصطلاحا :

أما الجرجاني فيقول :(العلم هو إدراك الأشياء على حقائقها).[٣]

والمفهوم الحديث للعلم في عصرنا الراهن هو : الكلام والبحث المبني على التعريفات والمصطلحات وجداول ورسوم مقارنة وأشكال وأرقام وإحصاءات ، ثم استنتاجات تبنى عليها القناعات والقوانين النهائية فلا يقال فلان : إنّه علمي إذا تكلم كلاما عاما ذا صفة تحوي مصطلحات رنانة وتعابير لفظية متعددة، فلإثبات أي فكرة يجب ان تكون مسندة بالدلائل والمؤشرات العلمية الاستدلالية و الإثباتية والتجريبية كالأرقام والإحصائيات وغيرها لأننا في عصر الأرقام ، والذي يؤتى به موثقا بالأرقام يكون حجة يستند إليها. [٤]

المطلب الثاني : الحقيقة العلمية في الاصطلاح .

والحقيقة العلمية هي كلمة مركبة – مركب إضافي – ، ولتعريفها يلزم التعريف بجزئيتها :

فالحقيقة تستعمل تارة في شيء له ثبات ووجود ، أو هي الشيء الثابت قطعا أو يقينا، والتاء فيه للتأنيث [٥]أما العلمية فهي صفة للحقيقة ، والعلم نقيض الجهل كما عرفها الجرجاني في التعريفات . [٦]

ويعرف العلم الحديث الحقيقة العلمية بانها : (المفهوم الذي تجاوز الفرضية والدراسة النظرية، حتى أصبح ثابتا مجمعا عليه من كافة العلماء المختصين ، كتمدد المعادن

٢٧شوال
١٤٤٠هـ
٣٠ حزيران
٢٠١٩م

بالحرارة ،وانكماشها بالبرودة، وتبخر الماء عند ضغط عادي ودرجة الحرارة المائة مئوي، وإنجماده عند الصفر المئوي وغير ذلك من الحقائق العلمية التي لا تقبل الشك والجدل والنقاش) [٧]

وهناك الفرض والنظرية اللذان يختلفان عن الحقيقة ، فأما الفرض فهو: تخمين واستنتاج ذكي يصوغه الباحث، ويتبناه مؤقتا لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر، وأما النظرية فهي توضيح لعلاقة الأثر والسبب بين المتغيرات لشرح ظواهر معينة ، والنظريات مراتب بحسب قربها وبعدها عن الحقائق ، وأقوى النظريات هي التي تقدم شرحا أكثر منطقية لتلك الملاحظات ، والنظرية السليمة هي التي يتم التوصل إليها بواسطة دراسة علمية لا يمكن اعتبارها حقيقة علمية وإنما تمثل أفضل إجابة يمكن الوصول إليها وهي قابلة للتغير والتبديل. [٨]

المطلب الثالث : أهميته .

يأبى الله تعالى إلا ان تبتني العقائد على أساس الإيمان و بالبرهان، القائم على النظر العميق والتفكر، لذلك نرى ان الله تعالى يطالب أصحاب العقائد الباطلة بالبرهان ويظهر ذلك جلياً في أساليب القرآن في المحاججة كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[٩] ثم قوله تعالى الذي يدعو إلى التفكر : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾. [١٠]

وتكرار العبارات التي تدعو إلى الفكر وتجريد الإنسان من التقليد والجمود ، مثل : ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ ﴾، ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ ﴾ ،﴿ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ ﴿ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾، ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [١١] فلو نظرنا إلى هذه المعاني الثلاثية وترتيبها مع بعضها فالعلم يتبعه إيمان ترتيب بلا تعقيب ، ليعلموا فيؤمنوا ، والإيمان يتبعه حركة القلب من الإخبات

والخشوع المشرع لله تعالى، وهكذا يثمر العلم الإيمان، ويثمر الإيمان الإخبات والتواضع لله رب العلمين .

ومع ان الإسلام فضل الإيمان بالغيب على الإيمان بالأدلة المحسوسة ووصف أصحابه بأنهم ذوو الإيمان الكامل، وبأنهم المؤمنون الذين صحت قلوبهم ونفوسهم بحيث آمنوا بالغيب كله ، دون الأدلة التي يبحث عنها أصحاب هذا العصر كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [١٢]إلا انه يؤكد ان الإيمان يبنى على اليقين والبرهان والعلم ا قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [١٣] ولقد علمنا رسول الله ﷺ ضرورة التفكر والتدبر لآيات الله في الكون ، فعن ابن عباس (رضي الله عنه) انه رقد عند رسول الله ﷺ استيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [١٤]فقرأ هذه الآيات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين ، فأطال بهما القيام والركوع والسجود ، ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ، ست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هذه الآيات ثم أوتر بثلاث ، فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول : (اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا وجعل من خلفي نورا وجعل من أمامي نورا واجعل من فوقي نورا ومن تحتي نورا اللهم أعطني نورا).[١٥] فما رواه ابن عباس(رضي الله عنه) ما من نظر النبي ﷺ إلى السماء، ومن ثم صلاته، ودعائه على أهمية التفكر والتدبر في آيات الله الكونية، لزيادة الإيمان واليقين واطمئنان القلب والجوارح .

المطلب الرابع : تعريف الإعجاز العلمي لغة واصطلاحا

أولا : الإعجاز لغة :عرفه ابن منظور فقال : (معنى الإعجاز الفوت والسبق ، والمعجزة واحدة من معجزات الأنبياء عليهم السلام الدالة على صدقهم ، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بها)[١٦] . وفي القرآن الكريم قوله تعالى على لسان الجن : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾[١٧] وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [١٨].

تعريف (المعجزة) في الاصطلاح : (أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة) [١٩]وتعريف الإعجاز يشمل أوجه الإعجاز القرآني كلها والتي منها :

الإعجاز العلمي : هو إخبار القرآن الكريم والسنة النبوية بحقيقة أو حقائق أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي . [٢٠] ﷺ

أما القرآن الكريم فقد عرفه علماءنا (لغة : مصدر كفران ، و رجحان) قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [٢١] إلّا أنّ هذا المصدر صار مختصا بالكتاب المنزل على نبينا ﷺ فصار علما له، واشتهر به ، ولذلك فإن اطلاق لفظ القرآن اليوم ، لا يفهم منه إلا انه القرآن الكريم كلام الله .

أمّا القرآن اصطلاحا : فلقد عرّفه الدكتور محمد حسن هيتو في كتابه (المعجزة القرآنية) (بأنه اللفظ العربي ، المنزل على محمد ﷺ ، المنقول إلينا بالتواتر المتحدى بأقصر سورة من سوره المعجزة). [٢٢]

وقال الأستاذ عبد الحميد العبيدي في معرض تفصيله في موضوع معجزة القرآن الخالدة : يعرف علماءنا القران الكريم بأنه كلام الله المنزل على رسول الله ﷺ ، المعجز المتلو المتواتر فإن كلام الله نوعان القرآن الكريم والحديث القدسي ، وكلاهما من الله قولا وعملا ومعنى وفرقهما عن الحديث الشريف أنّ المعنى من الله والقول لرسول الله.ﷺ

وأما المعجزة – وهذا ما قصدنا – فهو كلام الله والكلام صفة المتكلم أي لا يستطيع ان يأتي بمثله ولا يستطيع ان يحيط بكل مقاصده احد. [٢٣]

المطلب الخامس :تاريخ الإعجاز :

قد يسأل سائل هل الإعجاز وليد العصر الحاضر والمرحلة الراهنة ، فنقول له كلا بالتأكيد ، فالإعجاز القرآني قد مر بمراحل عديدة ، فلو تتبعنا التاريخ الإسلامي منذ أن بدأ الوحي إلى العصر الراهن، لوجدنا ان لكل عصر أو مرحلة تاريخية نوع من التحدي للقرآن الكريم الذي حمى لنا عقيدتنا وشريعتنا مع تفصيلاتها وإثباتاتها وبراهينها ،ونجد ان القرآن العظيم في كل مرة يقف كالطود الشامخ في وجه الزائغين والملحدين لكل ما فيه من إعجاز ، وبدأ بالإعجاز اللغوي الذي تحدى به، وأعجز فصحاء اللغة في عصر التنزيل بان يأتوا بسورة من مثله كما نص القرآن الكريم .

ولم يستهو لعقل المسلم في بدء الرسالة في الدراسات القرآنية التي تتصل بإعجاز القرآن، ذلك لارتفاع مستواها العلمي والديني عمّا هم عليه وقتئذ، فيكفيهم الإيمان بأنّ القرآن هو معجزة الرسول ﷺ الذي أيده الله تعالى بها، كما كان الصحابة والتابعين يتهيبون مقام القرآن الكريم ويقدسونه، فلم يسمحوا لأنفسهم بان يلجوا مجالات الجدل والخلاف والقول في شرع القرآن ،ثم تنبه المسلمون لأهمية الإعجاز في القرآن الكريم في وقت مبكر وأعطوه عنايتهم ، وكانت بداية تلك الاهتمامات منصبة على الإعجاز البياني ، لأنه الأظهر في إقامة الحجة في زمن النزول وما بعده، لما كان للعرب من فصاحة وبيان لقربهم بعهد النزول، أو انشغالهم بالجهاد والدعوة ، أو لابتعادهم وعدم احتياجهم إلى القضايا الجدلية الشائكة، التي لا يبنى عليها عمل تعبدي يقربهم من الله تعالى ، ولقربهم من عجز الخصوم من المعارضة و إذعانهم لتصديق القرآن الكريم ؛ ومن ثم انتهاء عهد المعارضة بإسلام أهل الجزيرة كلهم ، إلّا أنّ دخول أمم غير عربية إلى الإسلام كالفرس والروم والهنود وغيرهم ، وما كان من شأن حضارتهم السابقة، وتأثيرهم على بعض الناس دفع بأهل العلم من المسلمين إلى التصدي لكل هذا بعدت بأساليب منها تبيان أوجه الإعجاز القرآني العديدة.[٢٤]

وفي أواخر القرن الثاني الهجري وضع المتكلمون القرآن موضع بحثهم ،وجعلوه محور جدلهم ونقاشهم، يحفزهم لذلك حرصهم على كتاب الله ورفع شأنه ، ومن ثم مواجهة الشعوبية المتطرفة التي تغلغلت في النفوس وأثارت الشعارات الكاذبة، بقصد الإساءة إلى العرب والإسلام نتيجة للفتوحات الإسلامية ،وانفتاح العرب المسلمين على أعداءهم من الملل والطوائف ، وظهور جماعة طبقة المفكرين لمناهضة أرباب الديانات الأخرى . وفي نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع ظهرت ظاهرة لم تكن واضحة من القرن السابق، وهي إن الأدباء أصبحوا يؤلفون كتبا مستقلة في البلاغة تعني بالإعجاز القرآني ، وكان ابن جرير الطبري (٣٦٠ هـ) من أشهر رجال هذه الفترة ، وكان مثالا إحتذاه المفسرون المتأخرون كلهم ، وتعتمد طريقته في تبسيط الصورة وعدم تعقيدها كما فعل الكلاميون قبله وبعده ، فكان لا يأتي ببراهين إلا من القرآن الكريم ، والرماني (٢٩٦– ٣٨٦ هـ) الذي تحدث عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، وكذلك الخطابي (٣١٩– ٣٨٨ هـ) .[٢٥]

ثم جاء القرن الخامس الهجري بعد العصر الذهبي لبيان إعجاز القرآن فقد ظهر الباقلاني (٤٠٣هـ) ليؤلف كتابه المشهور (إعجاز القرآن) ردا على الحركة التي قامت في عهده، والتي تحاكي فكرة إعجاز القرآن وظهر ابن حزم الأندلسي وألف كتاب (الفصل في الملل والنحل) في إعجاز القرآن ، وظهر كذلك عبد القادر الجرجاني (٤٧١هـ) الذي ألف (دلائل الإعجاز) و(الرسائل الشافية) واستمر هذا الاتجاه حتى القرن السادس الهجري.

فتشرف بظهور الراغب الأصفهاني(٥٠٢ هـ) ، والزمخشري (٥٣٨هـ) وابن عطية الغرناطي (٥٤٢هـ) ، ومن غير المفسرين رجال أفاضوا في مسألة الإعجاز وبينوا أوجه القرآن الكريم منهم الغزالي (٥٠٥هـ) والقاضي عياض (٤٩٦_٥٤٤هـ) ثم ظهر فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) في القرن السابع وكان من أشهر المفسرين وأشهر المتحدثين عن إعجاز القرآن ثم لحقه من قريته القرطبي (٦٧١ هـ) صاحب (الجامع لأحكام القرآن)، والبيضاوي(٦٨٥هـ) صاحب (أنوار التنزيل) ، والسكاكي (٦٢٦هـ) صاحب (مفتاح العلوم) ، وابن أبي الاصبع المصري(٦٥٤هـ) ، ثم توالت القرون وجاء العلوي(٦٢٩- ٧٢٩هـ) صاحب (الطراز) وشمس الدين الأصفهاني (٧٤٩هـ) وابن القيم (٧٥١هـ) ، وابن كثير (٧٧٤هـ) ، وبدر الدين الزركشي(٧٩٤هـ)والفيروزابادي (١٢٥٠هـ) و الآلوسي(١٢٧٠هـ) وعبد الرحمن الكواكبي(١٢٦٥هـ - ١٣٢٠هـ).[٢٦]

هذا وقد صدرت دعوات كثيرة للتدبر العلمي التي أطلقها أبو حامد الغزالي ، وأبو الفضل المرسي ، والفخر الرازي وغيرهم من السلف الصالح.

وعند ظهور النزعة العلمية بقوة في القرن الرابع عشر ، حيث كانت لغة الزمن والعصر هي لغة العلوم والمخترعات والمكتشفات العلمية وانتشار العلوم التجريبية، إذ حاول أعداء الإسلام من أصحاب الفكر والعلماني ، وأصحاب الأفكار الإلحادية ان يربطوا المكتشفات العلمية بكفرهم وجحودهم ، أما الكنيسة فبدأت تمارس دورها في التصدي للمكتشفات العلمية التي توافق حقائق القرآن وتخالف منهجها ، يقول الدكتور محمد حسن هيتو : (فقتل واحرق كل من أتى بأي حقيقة علمية مادامت لا توافق عقلي القس أو الراهب ، فقتل ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين ألفا من العلماء والمفكرين، عنادا وطغيانا على ما يقوله مؤرخو الغرب). [٢٧]

ثم أضحى الإلحاد اليوم هو الإلحاد العلمي الذي يبحث عن نظريات علمية كبدائل عن فكرة الخلق، وقدرة الخالق، وإنكارا لأصول العقيدة التي بناها القرآن الكريم من البعث والنشور .

فقيض الله تعالى من يرد كيدهم إلى نحورهم، وينبههم عما تضمنه القرآن الكريم من الآيات الكونية العلمية الإعجازية، والتي تفوق كل تصوراتهم فكان الدفاع عن القرآن بالقرآن، وبرجال حملوه في صدورهم فقد استوعبوه، ونّور بصائرهم، وبصيرتهم، وابرزوا أنواره في ظلال تفسيراتهم وتأليفاتهم وحواراتهم ومجادلاتهم بالتي هي أحسن ،وقد ضمنوا تفسيراتهم للقرآن الكريم إشارات قصيرة أحيانا ، ومفصلة أحيانا أخرى .

في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، مع وضع ضوابط، وثوابت، وقواعد علمية متوافقة مع اللغة العربية وضوابط التفسير الصحيح ، لمن يقوم بهذا العمل ، وليس كمن يلوي النص القرآني ليجعله موافقا للنظرية العلمية التي قد يأتي عليها زمان فيظهر بطلانها، فيكون بذلك قد أساء إلى القرآن، وأعطى لأعدائه الحق والثغرة للدخول والطعن والإساءة ، ولأن الأمة تحتاج في كل عصر إلى تفسير يتزود بالعلم والمعرفة اللازمة، لتفسير كلام الله تعالى في آيات القدرة تفسيرا يتلائم مع ما توصل إليه العلم اليقيني التجريبي على أساس ان العلم يتسلق إلى القرآن وليس العكس .

فقد برز من المفسرين في هذا العصر : صاحب الزمان بديع الزمان النورسي ، والإمام محمد عبده ومحمد رشيد رضا في تفسيره (المنار) ومحمد محمود حجازي في (التفسير الواضح)، وسيد قطب في (ظلال القرآن) ، والطنطاوي الجوهري في (الجواهر) وآخرين.

أما القرن الخامس عشر الهجري الذي نعيش فيه، فقد برز عدد من الكتاب والمفسرين والمؤلفين الذين نصر الله بهم هذا الدين، وحفظه ،وألفوا في هذا الضرب من علوم القرآن ، منهم : محمد متولي الشعراوي صاحب (الخواطر)، وسعيد حوى صاحب (الأساس)، وأبوالاعلى المودودي صاحب (تفهيم القرآن)، وأبو العزائم صاحب (أسرار القرآن) ولا يفوتنا الدور البارز لكل من محمد مصطفى ، وعبد الرزاق نوفل ، وسيد دسوقي ومحمد فريد وجدي ، وعبد المجيد الزنداني ، وغيرهم. [٢٨]

العدد ٥٨

٢٧شوال ١٤٤٠هـ

٣٠ حزيران ٢٠١٩م

إذ أصبح هذا المنهج و الأسلوب من أهم المواضيع التي حظيت باهتمام الباحثين والكتاب والمؤلفين المدافعين عن هذه العقيدة ،ومواجهة تحديات أعداء الإسلام في الداخل والخارج ، ومن ثنايا القرآن وإعجازاته وهي كثيرة جدا ، جاءت في سياق الهداية للعقل البشري بان يبحث ويتدبر من جهة ، ومن جهة أخرى يرد على الزائغين بل ويتحداهم من ان الله تبارك وتعالى سيريهم أن هذا الكتاب وهذا الدين هو الحق والواجب إتباعه

المبحث الثاني

مآخذ التوظيف العلمي في علم العقيدة

المطلب الاول : معالم التوظيف العلمي المعاصر في الدفاع عن العقيدة

إن الأساس الذي تقوم عليه العقيدة هو العلم واليقين المؤيد بالبراهين لا على التسليم الأعمى، وان العقيدة بكل أصولها لا يمكن ان تناقض العلم ، لان الحق لا يناقض الحق واليقين لا يناقض اليقين ، وإنما يعارض اليقين بالظن ، وينافي الحقيقة الشك والوهم والاعتراض ، وان جميع أصول العقيدة مؤيدة بأدلة وبراهين نقلية وعقلية من الكتاب والسنة يقينه قطعية الثبوت وهذه بديهة ثابتة ، والانصراف عنها يفضي إلى الانزلاق في الكفر والهاوية وخروج من الملة .

وان الذي يجب ان نضعه في اعتبارنا عند قراءتنا لأي مصدر في موضوع الإعجاز العلمي ، هو أن القرآن هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن أي نظرية قديمة أو حديثة في أي مجال من مجالات العلوم، وما يطرأ عليها من تغيرات، وما سيكون في المستقبل من علوم ونظريات هي حصيلة الفكر البشري ، وهذا الفكر هو نتيجة لفهم الإنسان للكون الذي خلقه الله تعالى . [٢٩]

وان الله تبارك وتعالى جعل هذا القران معجزة لكل عصر يتحدى به ، ففي الصدر الأول تحدى بإعجازه البلاغي اللغوي و أهل البلاغة وأهل اللغة ، وبعدها تحدى أهل البيان في إعجازه البياني ، ثم تحدى الفلاسفة والعقلانيون بأدلة عقلية والبراهين التي لا يقوم أمامها منازع ، واليوم في عصر العلم و الكشوفات تحداهم بإعجازه العلمي في آياته الكونية التي تزيد على(١٠٠٠) آية ، فكل ما فيها هو إثبات وتأصيل لأسس

العقيدة ومبادئها ، وكلما مرّ عليه زمان تتجلى حقائقه للعالمين ، وتظهر أنواره زيف الألوان التي يتلون بها ملحدوا هذا العصر ، عصر العلم الذي توافرت فيه للإنسان من معارف للكون ومكوناته ما لم يتوافر من قبل على الإطلاق ، فاستخدمها الملاحدة و الزائغون عن الحق للنيل من عقيدتنا ، كما صوّر لهم غرورهم العلمي أنهم قد أحاطوا بكل شيء وأنكروا قدرة الله والوحي، ونسوا اوتناسوا أن الذي عرفوه أو اكتشفوه هو خلق الله وعجائب صنعه، وأنهم لم يبلغوا ذرة من علم الله تعالى .

ولما كانت العقيدة وأصولها هي المحور الأساس الذي تدور براهين القرآن العظيم وآياته وإثباتاته واستدلالاته عليه ، وان اغلب آيات القرآن الكونية مؤكدة لتوحيد الإلوهية والربوبية والى آيات قدرة الله تعالى ، وما أوحى إلى رسله والبعث والنشور وجميع أصول العقيدة .

ثم إن الله جعل العلم مفتاح لهذه الأصول في كثير من آياته، وأكد على المعرفة والتدبر في الكون والتفكر وأعمال العقل فيه ، فبنى الله عز وجل التوحيد الذي هو من أهم قضايا العقيدة على العلم فقال : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٣٠] . فالعلم هو السبيل إلى معرفة وحدانيته ، كما قدّم العلم على الإيمان فقال : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣١] وأشهد جلّ وعلا أولي العلم على وحدانيته، وهو دليل على اعتبار شهادتهم فقال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٣٢] إذن مما سبق يتبين ان معالم الأسلوب العلمي في الدفاع عن العقيدة وإثبات أصولها في أمرين هما :

١. ابراز اوجه الاعجازات القرآنية، وعلى رأسها الاعجاز العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم، باعتباره المصدر الأول للعقيدة الإسلامية وطبيعته في تركيزه على العلم والمعرفة واحتفاءه بها ، وكذلك المصدر الثاني للعقيدة من السنة النبوية الشريفة ،واتخاذها طرقا واساليب للاستدلال على العقيدة الاسلامية والدفاع عنها، ضد مايثيره العلمانيون والماديون من شكوك وشبهات.

٢. ظهور العلم في هذا العصر وتجدده بصورة مستمرة وسريعة وبهذا الكم الكبير ، وجد منها علماءنا مادة كبيرة أشار إليها القرآن والسنة النبوية ، وتاكيدهما وحفاوتهما

بالعلم الذي به يعرف الحق ، فظهر وتبلور الأسلوب العلمي كأداة في الحياة المعاصرة للدفاع عن العقيدة وإثبات أصولها ، وبرز من رواد هذا المنهج علماء واكبوا التطورات العلمية والكشوفات و مستجداتها ، ورصدوا تحركات الملاحدة المعاصرين وأغراضهم الخبيثة ، الذين يتزينون بزي العلم لفصل العلم عن الديانة ، فقيض الله لهم رجال ممن حباهم الله بالعلم والمعرفة مع نور الإيمان بالله ليحفظ بهم هذا الدين ، بنفس السلاح الذي استخدمه أعداء الإسلام، فأبدعوا في إبراز تفسير الآيات والأحاديث الكونية بما يوافق قواعد اللغة العربية من غير تكليف ولا افتعال ، فكانت أسلوبا دعويا ودفاعيا ملائما لهذا العصر الذي فتن فيه الناس ، ويجعل المستمع والمتلقي والقارئ أمام الحقيقة الساطعة ألا وهي أنّ كون الله المنظور يطابق كون الله المقروء [٣٣] عن طرق ربط مصادر العقيدة (القرآن والسنة) بالحقائق العلمية المقطوع بثبوتها علميا والكشوفات الحديثة ، ما له أكبر الأثر في دعوة من لا يؤمن بها من الناس من طريق إثبات أصولها ، (وكوجود الله ووحدانيته والرسالة و اليوم الآخر ..) وسائر أركانها وإقامة الحجج والبراهين الكونية التي لا ينكرها منصف صاحب عقل سليم ، و زيادة المسلمين ثقة في دينهم وتمسكهم في عقيدتهم ودفاعهم عنها بكل الأساليب المشروعة، وتطويره بما يتلائم مع مستجدات العصر وتحدياته بدعم من كشوفات العلوم التجريبية المعاصرة .

فلذلك كان هدف الأسلوب العلمي عبر مواجهة التحديات المعاصرة ودفاعه عن العقيدة يتلخص في :

أولا : تعزيز ما أثبته الله من أصول العقيدة الإسلامية وان مصدرها من الله تعالى .

الثاني : رد شبهات وأباطيل الأعداء الذين اتخذوا العلم ذريعة للفصل بين الدين والعلم، من سبيل الربط بين إشارات القرآن والسنة في كثير من الآيات والأحاديث الكونية وبين ما وصل إليه العلم الحديث .

الثالث : إبراز النصوص التي تضمنها هذا الدين التي تثبت عدم مخالفته للفطرة ولا للعلم في حقائقه اليقينية ، فالدفاع هنا دفاع المناجزة بالعلوم المختلفة التي ذكرتها الآيات المباركات ، والفهم الصحيح للإعجاز العلمي في الكتاب العزيز بأنه أحد أوجه الدعوة والجهاد التي أمرنا الله به .

وعلى سبيل المثال :

أ. ما ذكره القرآن الكريم وأشار إليه في الآية : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[٣٤] ، وقانون الجاذبية إذ يكشف الدكتور موريس بوكاي الطبيب الفرنسي الجراح من أشهر أطباء فرنسا ، اعتنق الإسلام بعد دراسة للقرآن الكريم وإعجازه العلمي في كتابه (القرآن والعلم الحديث). [٣٥]

قال موريس بوكاي : (لقد كانت فترة الرسالة وما بعد الهجرة حتى وفاه النبي ﷺ ، في مرحلة ركود من ناحية المعارف العلمية منذ عدة قرون ، وكان عصر الحضارة الإسلامية النشط مع الازدهار العلمي الذي واكبها ، لاحقا لنهاية تنزيل القرآن). [٣٦]

إذا لو أراد محمد ﷺ ان يتكلم عن الفلك بمعارفه وعلومه لتكلم بنفس المعارف التي كانت شائعة في ذلك العصر ، ولكن نزل القرآن بعبارات منها إشارات خفية إلى مالم تعرفه البشرية إلا في عصرنا الحديث .

فقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[٣٧] فقد كانت هذه الآية مطابقة لما يراه الرجل القديم ، فانه كان يشاهد عالما كبيراً قائماً بذاته في الفضاء ، مكون من الشمس ، والقمر ، والنجوم ، ولكنه لم يَرَ سارية أو عموداً تقوم عليه تلك الكواكب ، إلّا أنّ الرجل الحديث يشاهد في هذه الآية تفسيراً لمشاهداته التي تثبت أنّ الأجرام السماوية قائمة من دون عمد في الفضاء اللانهائي، بيد أنّ هنالك عمد غير مرئية ، تتمثل في قانون الجاذبية ، وهي تساعد كل هذه الأجرام على البقاء في أماكنها المحددة لها، فلا تسقط على الأرض ولا يصطدم بعضها ببعضها الآخر. [٣٨]

وبهذا يظهر لنا سر التعبير القرآني ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ مما يشير إلى وجود عمد غير مرئية وهو ما يتم بفضل الجاذبية وقانونها ، وقد تنبه المفسرون لهذهِ القضية الكونية بأن السماء مرفوعة بلا عمد وأن في ذلك دليلاً يوجب التصديق بالخالق فأن العمد هي السواري والدعائم قال الطبرسي في توضيح ذلك : ((.. وقيل فيه قولان : أحدهما إن المراد رفع السماوات بغير عمد ، وأنتم ترونها كذلك .. قال ابن عباس : ليس من دونها دعامة يدعمها ، ولا فوقها علاقة تمسكها . قال الزجاج : وفي ذلك من القدر والدلالة ما لا شيء أوضح منه ، لأن السماء محيطة بالأرض ، متبرية منها

بغير عمد . والآخر : أن يكون ترونها من نعت العمد ، فيكون المعنى بغير عمد مرئية، فعلى هذا تعمدها قدرة الله عز وجل)) . (٣٩)

إن الكلام لو لم يذكر فيه كلمة (ترونها) تام ومفهوم ، ولكنها زيدت والله اعلم ، لهذا الغرض لتلفت نظر الإنسان إلى وجود شيء غير مرئي سيدركه الإنسان بعقله وان لم يره بعينه ، ألا وهو قانون الجاذبية ، ليدل كل ذي عقل على أنّ هذا الكلام لا يمكن ان يصدر من بشر في ذلك العصر الذي لم يكن عند الإنسان آية معلومة عن هذا القانون، بل كل يتخبط في متاهات الأوهام حول تعلق الكواكب بالفضاء ، وليدل على أنَّ مصدر هذا العلم الذي ورد في القرآن هو الوحي الإلهي ، الأمر الذي جعل العالم الفرنسي يعتنق الإسلام، بالإضافة إلى الحقائق التي كتب عنها في (الإعجاز العلمي للقرآن) بشأن حادثة فرعون ومصيره التي اخبر عنها القرآن، والتي وقعت قبل نزوله بعدة قرون ، وكم من باحث أعلن إسلامه أو عودته إلى الإسلام بعدما رأى هذا الكنز، مما جعله يعرف الحق ويهتدي إليه، وكما حصل لعلماء غربيون أمثال عالم البحار الفرنسي (كوستو) ، والعلامة الفرنسي (روجيه غارودي) ، والسفير الألماني (مراد هوفمان) الذي اسلم وألف كتابا سماه (الإسلام كبديل) والسفير الايطالي في السعودية، والقسيس الدكتور (ميلر) الذي ألف عدة كتب عن عظمة القرآن والإسلام واشتهر عبر الشبكة العالمية (الانترنيت) ؛.....)(٤٠) ، إما في الساحة العربية والإسلامية من رواد هذا المنهج فهناك قائمة طويلة بأسمائهم ولهم نشاطات وبحوث دافعوا فيها عن العقيدة في هذا العصر من طريق هذا المنهج ، ونذكر على سبيل المثال : المفكر الإسلامي (وحيد خان) الهندي الجنسية فهو من أعلام ورواد هذا المنهج وله مؤلفات منها (الإسلام يتحدى) والذي بين فيه الأسس التي ارتكز عليها في الدفاع والتي تمثلت في الأسس البيولوجية ، والنفسية ، والتاريخية، فاستقى أدلته من الطبيعة، ومن البحوث النفسية والتاريخية وكذلك تناول قضية إثبات الوحي بالأدلة العلمية .

وان وعد الله الحق إذ يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٤١) حفظه بآيات المعجزات، التي جعلها الله سلاحاً يقتل كل طاعن بالقرآن ، فالعودة إلى كتاب الله والتمسك به تسقط رايات الكفر والإلحاد ، وهذا ما أيقنه أعداء الإسلام وما يعرفونه من قوة هذا الدين، وإمكانية تأثيره في العقول والقلوب ، مما يجعل شعوب العالم تعيش في

عيشة رغيدة ، وهم يعلمون أنّ الإسلام قادم بقوة ولن تثنيه مؤامراتهم ودسائسهم ، فقد حلل المحلل الأمريكي الكبير (صامويل هنتجتن) موضوع الصحوة الإسلامية في كتابه (صدام الحضارات) تحليلا مبنيا على إحصائيات ورسوم وبيانات ، وتوصل إلى أنّ الصحوة الإسلامية تفوق التحديات في كل من روسيا والغرب ، والآن الأجيال المسلمة بدأت تعود إلى أصول دينها وأسسه القوية . أعظم بديل عن كل القوانين الأرضية. (٤٢)

المطلب الثاني : مآخذ التوظيف العلمي المعاصر

لا شك أنّ القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية أو دستورا ونظام حياة للإنسانية كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (٤٣) ،وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۡۙ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (٤٤)وليس كتاب علوم يقدم في المدارس والجامعات . ومع ذلك فإنه تعرض للكثير من حقائق الكون، والحياة للفت النظر إليها والاهتمام بالعلم والمعرفة أما إجمالا ، وإما تفصيلا عند نزوله ليكون يوما ما معجزة داله على أن هذا ليس من كلام البشر ، وإنما كلام الله تعالى ،عندما يكتشف الإنسان كثيراً من أسرار الكون والحياة والعلم والمعرفة ولتحقيق وعده بقوله : ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾. (٤٥)

وهذا ما حصل في عصر العلم والكشوفات ، وليقطع حجج الزائغين والملحدين ، وعلى الرغم مما ذكرناه فقد وجد من عارض هذا الأسلوب وانتقده وآخذ عليه ، ومنهم (سيد قطب) وآخرين وقد ذكروا تبريرات لذلك .

أ . تعليق الإشارات القرآنية بحقائق علمية يحتوي على خطأ منهجي ينطوي على ثلاث معان :

العدد ٥٨

٢٧شوال ١٤٤٠هـ

٣٠ حزيران ٢٠١٩م

١ . يخيل إلى البعض إن العلم هو المهيمن والقرآن هو التابع ، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم والاستدلال له ، في حين أنّ القرآن كتاب كامل في موضوعه ، نهائي في حقائقه ، والعلم لا يزال ينقضه ما أثبته بالأمس .

٢ . التفسير العلمي يحمل أصحابه إلى التأويل المستمر مع التحمل والتكلف لنصوص القرآن وكل ذلك يتناقض مع جلال القرآن .

٣ . الخروج بالقرآن عن وظيفته الأساسية من انه حقيقة مطلقة نهائية تعالج بناء الإنسان و هدايته ، ورسم المنهج القويم ، والسبيل المستقيم ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

ب – ومن المأخذ أيضا انه يتسم بجفاف الأسلوب لكونه يقدم مادة علمية بحتة تخاطب العقل فحسب [٤٦]وبالإضافة إلى ما ذكر من أخطار قد يقع بها هذا المنهج سواء من الناحية اللغوية أو البلاغية أو الاعتقادية لذلك ، فإن القائمين بهذا المنهج قد وضعوا ضوابط وقواعد تكون قيدا لمن يلج هذا الأسلوب في التفسير ووقاية لهم من المآخذ .

من جملتها :

١. فهم الظواهر الكونية عبر قنوات المعرفة المنضبطة لتحقيق الهدف العلمي في مختلف المجالات .

٢. الإحاطة بالمعاني المستنبطة من النصوص الشرعية وفق منهج التفسير المعتمد عند علماء الأمة الإسلامية ، وفي هذا السياق يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني : (ولما كانت أبحاث الإعجاز العلمي المتعلقة بالتفسير العلمي للآيات الكونية ومتصلة بشرح الحديث في هذه المجالات ، فهي فرع من فروع التفسير وجزء من شرح الحديث، وتقوم على مصادر هاذين العلمين ، ولما كانت قائمة على إظهار التوافق بين نصوص الدين وبين ما كشف عنه العلم التجريبي في حقائق الكون وأسراره، فهي كذلك تقوم على مصادر العلوم التجريبية إلى جانب العلم المتعلق بتأريخها كما تتصل ايضا بعلم أصول الدين).[٤٧]

٣. جعل القرآن أصلا والعلم تابع له.

٤. التفسير يعتبر مردوداً إذا خالف ما دل عليه القرآن أو دلت عليه السنة النبوية .

فيكون التفسير العلمي مقبولا إذا التزم بقواعد علماء الأمة في أصول التفسير بما تفرضه حدود الله ، إما من انه يخاطب العقل فقط فهو كلام لا يستند إلى حجة ، بل إن القرآن يخاطب العقل والروح و كيان الإنسان بكل أحاسيسه ، وهذا بارز في جميع آيات القرآن الكريم ، وأقول إن (الحكمة ضالة المؤمن ، أنّى وجدها التقطها ...). (٤٨)

والقرآن انزل معجزة لكل العصور لا للجيل الأول فحسب ، ولابد للجيل المعاصر إن يجد المعجزة في القرآن . والاستفادة من تطورات العلوم والمعارف في فهم الآيات الكونية في القرآن الكريم . ولنضرب مثلاً لتهافت مثل هذه المآخذ ، ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾(٤٩) والواضح أن الخطاب الموجه إلى نبينا الكريم بـ ((ألم تر)) بمعنى ألم تعلم لان المذكور في الآيات الكريمات لا يرى بالأبصار وإنما يعلم بالأدلة وفي ذلك تتابع منطقي متسلسل احدهما يفضي إلى الذي يليه فالسحاب المزجى الذي يسوقه الباري عز وجل سوقاً رقيقاً ليؤلف بين طبقاته ويضم بعضها إلى بعض ليكون قطعة واحدة متراكمة تعطي الودق من مطر وقطر الذي يخرج من الفرجة التي بين السحاب ، ففسر جمهور المفسرين السابقين إن الله يولد سحاباً ثم يجمعه ، ثم ينزل منه الماء على عباده رحمة بهم ، ومنها إظهار لقدرة الله بما يتناسب ومعرفتهم ، أو يستحيل على احد أيا كان إن يفعل هذا .فقالوا في تفسير الآية (يزجي) فالريح تزجي السحاب ، والبقرة تزجي ولدها (ثم يؤلف به) أي يجمع عند انتشائه ليقوى ويتصل ويتكثف (ثم يجعله ركاما) مجتمعا يركب بعضه بعضا وأما (الودق) فقالوا هو البرق ، وقالوا : هو المطر ، ثم قالوا : إن في هذه الآية دليل على قدرة الله ، وغيره لأهل البصائر ، وهذا الذي قالوه صوابا ، لا مرد فيه ، وهو الذي نقوله اليوم ، ويقال في كل زمان ومكان حسب مقتضيات اللغة ودلالاتها . وهذا ما كان مفهوم فبحسب علمهم ، وهو تأويل مقبول شرعا وعقلا ولغة ، ولكن الأمر الجديد ما يدل عليه العلم الحديث ، فأضاف وجها من وجوه الإعجاز القرآني ، وذلك أنّ السحابة مكهربة أي إن كل سحابة تحمل شحنة كهربائية ، كما اثبت ذلك فرنكلين لأول مرة عام (١٧٥٢) ، ومن المعروف علميا انه إذا وجدت سحابتان سالبتان فإنهما تتنافران ، كما

العدد ٥٨

٢٧شوال ١٤٤٠هـ
٣٠ حزيران ٢٠١٩م

هي طبيعة المتنافرين في الشحنة السالبة والموجبة ، فالسالبان يتنافران والموجبان يتنافران ، وإنما يكون التآلف بين السالب والموجب .

وبناءا على هذا القانون ، كان من المفترض إن لا تتحد سحابتان في الجو إذا كانتا مشحونتين بشحنة واحدة ، ويترتب على هذا إن لا يتراكب السحاب ، مما يؤدي إلى قلة الأمطار ، ولكن الله بقدرته يولد السحاب ، بواسطة الرياح ويؤلف بينه ، ولو كان ذا شحنة واحدة متشابهة ، وعندئذ تكبر السحابة وتتراكب فوق بعضها البعض حتى تصير كالجبال الشامخة ، فهذا سر جديد يكشفه العلم الحديث في قوله تعالى : (ثم يؤلف بينه) أي رغم اتحاد الشحنة ، لم يكن لأي إنسان إن يعرف في العصر القديم لجهله بهذه المعاني ، فهذا يدل لنا دلالة قاطعة على انه يستحيل إن يكون هذا القرآن من عند البشر ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فالسحاب لا يمطر في هذه الحالة ، دلالة على أنهما يجب ان يمطران بتفاعل مع شيء ليتكثف ويتقاطر على الأرض ، يكون هذا بواسطة الرياح الصاعدة من الأرض والمحملة بشحنة كهربائية موجبة إذاً لابد من تلقيح السحاب ويكون هذا التلقيح بواسطة الكهرباء الجوية التي تسببها الرياح . وهذا معنى جديد لقوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ . [٥٠]وهذا من أكثر الأدلة القاطعة على إن هذا القرآن كلام الله ووحيه. [٥١]

ومجمل القول في هذا الأمر أنّ العقيدة الإسلامية التي جاء بها القرآن حقيقة ثابتة من عند الله وهي تأييد واثبات للحقائق العلمية في الكون الذي خلقه الله وأحاط به، وهي حجة وبرهان على من لم يؤمن بهذه العقيدة من الماديين والعلمانيين، وضرورة الاعتدال في النظر إلى المنهج والأمر وأخذ الحيطة والحذر والتزام الضوابط والقواعد المتفق عليها لدى علماء الأمة الإسلامية حتى لا يساء فهم القرآن إذا ما خالف بعض هذا الكشوف ، وان الهدف من هذا كله العودة إلى الله تعالى و الإفادة من الحقائق العلمية المعاصرة في دعم مسائل الإيمان أمام موجة الإلحاد ، ومقارعة الحجة بالحجة ، والبرهان بالبرهان .

الهوامش

(١) -ينظر: لسان العرب : ٤١٦/١٢.
(٢) -ينظر: المعجم الوجيز مادة (عِلم): ٤٣٢ .
(٣) التعريفات للجرجاني : ١٥٥ ، تأصيل الإعجاز العلمي : ١٤ .
(٤) - ينظر القرآن منهل العلوم.د. خالد فائق العبيدي ، جامعة صدام للعلوم الإسلامية الموسوعة الإسلامية ، بغداد ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م : ٧٢.
(٥) - ينظر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تأريخه وضوابطه : ٢٥ .
(٦) - ينظر : التعريفات للجرجاني : ٩٠.
(٧)(3) القرآن منهل العلوم:٧٤.
(٨) - ينظر كتاب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وتاريخه وضوابطه : ٢٦ .
(٩) - سورة البقرة : ١١١ .
(١٠) - سورة سبأ : ٤٦ .
(١١) - سورة الحج : ٥٤ .
(١٢) - سورة البقرة : ٣ .
(١٣) - سورة الأنعام : ٧٥ .
(١٤) سورة آل عمران :١٩٠ .
(١٥) صحيح البخاري،كتاب الآداب،باب الدعاء اذا انتبه بالليل،رقم الحديث٥٨٤١ :٣٨١/١٩.
(١٦) - لسان العرب : ٥ / ٣٧٠ .
(١٧) - سورة الجن : ١٢ .
(١٨) سورة الشورى : ٣١ .
(١٩) - التعريفات للجرجاني : ٧٥ ، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه : ١٢ .
(٢٠) -ينظر: معجم الألفاظ الكونية في القرآن والسنة ، إعداد الشيخ إسماعيل القريش ، مجلة الإعجاز ، العدد الثالث ، ربيع الثاني : ٦٠ – ٦١ .
(٢١) - سورة القيامة : ١٧ – ١٨ .
(٢٢) - المعجزة القرآنية الإعجاز العلمي والغيبي ، د. محمد حسن هيتو ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م : ٣١.
(٢٣) -ينظر : القرآن منهل العلوم : ٨١ ، والتعريفات للجرجاني: ٧٥ .
(٢٤) - ينظر : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تأريخه وضوابطه : ١١ .
(٢٥) - ينظر :الإرشادات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق : ٣٠ – ٣٩ .
(٢٦) - ينظر: الإرشادات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق: ٣٠ – ٤٠ ، و القرآن منهل العلوم : ٨٨ – ٨٩ .
(٢٧) - المعجزة القرآنية : ٤٨ .
(٢٨) - ينظر الإرشادات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق: ٣٠ – ٤٠ - و القرآن منهل العلم : ٨٨ – ٨٩ .
(٢٩) - ينظر : القرآن منهل العلوم : ٧٧ .
(٣٠) - سورة محمد : ١٩ .
(٣١) - سورة الروم : ٥٦ .
(٣٢) - سورة آل عمران : ١٨ .
(٣٣) ينظر : القرآن منهل العلوم : ١٢٣.
(٣٤) - سورة الرعد : ٢.
(٣٥) - ينظر : علم الإيمان. للشيخ عبد المجيد الزنداني ، ط٢ ، شركة النور ، صنعاء ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م. : ١ / ٢١٨.
(٣٦) -نقلا عن المعجزة القرآنية : ١٨٠ – ١٨١ .
(٣٧) - سورة الرعد : ٢ .

(٣٨) - ينظر : الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ،ط٦، دار البحوث الإسلامية ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م : ١٩٨ ، توحيد الخالق د. عبد المجيد الزنداني ،ط٤، دار السلام للطباعة والنشر ، (مصر ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م) : ٩١.

(٣٩) مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل الحسن الطبرسي ، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان ط٢ ١٤٢٥ه / ٢٠٠٥م جـ ٦ ص٧ .وقد نص المفسر الطباطبائي صراحة على قانون التجاذب فذكر أنه : ((إن قام جرمٌ سماوي من غير عمود يقوم عليه ، فقد قام أيضاً بسبب خاص به كطبيعته الخاصة أو التجاذب العام مثلاً بإذن الله . بل إنما قيد رفع السماوات بقوله : ((بغير عمد ترونها)) لتنبيه فطرة الناس وإيقاظها لتنتزع إلى البحث عن السبب)) / الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات ، قم ، إيران ١٤٢٥ ه / ٢٠٠٤م / ج١٣ ص٢٥١٠ .

(٤٠) - ينظر الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق ، د. كارم السيد غنيم : ٣٤ .

(٤١) - سورة الحجر: ٩.

(٤٢) -ينظر: كتاب (صدام الحضارات – إعادة صنع النظام العالمي). صامويل هنتجتن ، ترجمة طلعة الشايبي ، ١٩٩٨ (موضوع الصحوة الإسلامية :١٨٠) : ٢٨٤.

(٤٣) - سورة المائدة : ١٥ – ١٦ .

(٤٤) - سورة النحل : ٦٤ .

(٤٥) - سورة فصلت : ٥٣ .

(٤٦) - جاء من تفسير نص في ظلال القرآن : ١ / ١٨١ – ١٨٤.

(٤٧) - تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة : ٢٥- ٢٧.

(٤٨) - سنن الترمذي ، (كتاب أبواب العلم ،باب ما جاء في فضل العلم ، قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه : ١ / ٥١، سنن ابن ماجة ، (كتاب الزهد ، باب الحكمة) . ٢ / ١٣٩٥.

(٤٩) سورة النور : ٤٣ .

(٥٠) سورة الحجر : ٢٢

(٥١) - المعجزة القرآنية : ٢٠٩ – ٢١١ .

المصادر

١) الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ،ط٦، دار البحوث الإسلامية ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .

٢) الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق ، د. كارم السيد غنيم ، دار الفكر ،العربي– القاهرة، ط١ (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٣) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تأريخه وضوابطه ،عبد الله بن عبد العزيز المصلح .

٤) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة .

٥) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،1983 .

٦) توحيد الخالق د. عبد المجيد الزنداني ،ط٤، دار السلام للطباعة والنشر ، (مصر ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م).

٧) سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى. لمحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي،بيروت،١٩٩٦.

٨) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،١٩٩٢.

٩) صدام الحضارات – إعادة صنع النظام العالمي. صامويل هنتجتن ، ترجمة طلعة الشابي ، ١٩٩٨.

١٠)في ظلال القرآن،سيد سابق،دار الشروق ،بيروت،٢٠٠٣.

١١)علم الإيمان. للشيخ عبد المجيد الزنداني ، ط٢ ، شركة النور ، صنعاء ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م . .

١٢)القرآن منهل العلوم.د. خالد فائق العبيدي ، جامعة صدام للعلوم الإسلامية الموسوعة الإسلامية ، بغداد ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م :

١٣)لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، دار صادر – بيروت ١٩٨٧ .

١٤)المعجزة القرآنية الإعجاز العلمي والغيبي ، د. محمد حسن هيتو ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩ م

١٥)معجم الألفاظ الكونية في القرآن والسنة ، إعداد الشيخ إسماعيل القريش ، مجلة الإعجاز ، العدد الثالث ، ربيع الثاني .

١٦)المعجم الوجيز. مجمع اللغة العربية؛ مجمع اللغة العربية؛ بيروت: ١٩٩٨.

١٧)مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل الحسن الطبرسي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان ط٢ ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م جـ ٦ ص٧ .

١٨)الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات ، قم ، إيران ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م / ج١٣ ص٢٥١٠ .